

محمد عطيّة الإبراشي

صَلاَحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ  
وَبَيْتُ الْمُقَدَّسِ

قَصَصُ إِسْلَامِيَّةٍ لِلأَطْفَالِ

مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

ملزومة الطبع والنشر



وَقَدْ سُرَّ صَلَاحُ الدِّينِ سُورًا كَثِيرًا حِينَمَا رَأَى  
حُبَّ الشَّعْبِ لَهُ، فَأَعْلَنَ أَنَّهُ سَيَلْتَزِمُ الْعَدْلَ فِي  
حُكْمِهِ، وَأَنَّ بَابَهُ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ طَالِبِ حَاجَةٍ،  
وَلَنْ يَتْرُكَ مُفْسِدًا أَوْ ظَالِمًا يَسْتَمِرُّ فِي ظُلْمِهِ  
وَعُدْوَانِهِ. وَقَدْ وَفَى بِمَا وَعَدَ، وَلَمْ يُخْلِفْ وَعْدَهُ.  
وَحِينَمَا اطمأنَّ عَلَى مِصْرَ، وَقَوَّى مَرْكَزَهُ بِهَا، أَخَذَ  
يُفَكِّرُ فِي تَنْفِيزِ الرِّغْبَةِ الَّتِي كَانَ يَشْتَاقُ إِلَيْهَا  
وَهُوَ شَابٌّ، مِنْ طَرْدِ الصَّليبيينَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ  
مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِنْقَازِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ  
وَأَذَاهُمْ.

فَجَهَّزَ جَيْشًا مِصْرِيًّا قَوِيًّا كَامِلَ الْأَسْلِحَةِ، كَثِيرَ  
الْعَدَدِ، وَقَادَهُ بِنَفْسِهِ، بَعْدَ أَنْ بَثَّ وَنَشَرَ رُوحَ  
الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ، وَالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ فِي نُفُوسِ  
جُنُودِهِ. وَذَكَرَهُمْ بِأَنَّ مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ سَيَكُونُ مِنْ



الشُّهداءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَاهِدِينَ .

سَارَ الْجَيْشُ فِي حِمَاسَةٍ وَشَجَاعَةٍ ، وَقَطَعَ  
صَحْرَاءَ سِينَاءَ فِي أَيَّامٍ شَدِيدَةِ الْحَرِّ فِي فَصْلِ  
الصَّيْفِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَضْعُفَ قُوَّتُهُ ، أَوْ تَقِلَّ  
عَزِيمَتُهُ ، أَوْ يُصِيبَهُ تَعَبٌ ، حَتَّى وَصَلَ الْجَيْشُ  
كُلَّهُ إِلَى دِمَشْقَ بِسُورِيَّةِ .

وَكَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ خَاضِعَةً لِلصَّلَيبِيِّينَ ،  
فَفَتَحَهَا الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ بَعْدَ قِتَالٍ لَمْ يَدُمْ طَوِيلًا .  
ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى الْبِلَادِ الْأُخْرَى يَفْتَحُهَا ، وَكُلَّمَا  
اقْتَرَبَ مِنْ بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادِ انْتَشَرَ الْخَوْفُ فِي  
نُفُوسِ الْحُرَّاسِ الَّذِينَ يَحْرُسُونَهَا ، وَجَرَوْا هَارِبِينَ  
مِنْ وَجْهِ صَلَاحِ الدِّينِ ، وَجَلِيشِهِ الْمِصْرِيِّ  
الشُّجاعِ .



## ذَهَابُهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ :

وَأَخِيرًا ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَحَاصِرُهُ  
حِصَارًا شَدِيدًا ، وَأَظْهَرَ صَلاَحَ الدِّينِ مِنَ الشَّجَاعَةِ  
مَا أَذْهَشَ الْقَوَادَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ  
لَا يَسْتَطِيعُونَ الْوُقُوفَ أَمَامَهُ ، وَلَا يُمَكِّنُهُمْ رَدُّهُ عَنْ  
دُخُولِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، سَأَلُوا لَهُ الْمَدِينَةَ .

دَخَلَ جَيْشُ صَلاَحِ الدِّينِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مُنْتَصِرًا  
عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ إِنْسَانًا ، وَلَمْ يَأْسِرْ  
أَحَدًا ، وَلَمْ تَنْهَبْ جُيُوشُهُ بَيْتًا مِنْ الْبُيُوتِ ؛ فَقَدْ  
أَمَّنَ الْجَمِيعَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ ، وَعَامَلَ الْكُلَّ  
بِالْشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ ، فَعَجِبَ الْأَعْدَاءُ كَثِيرًا لِعَدْلِهِ ،  
وَشَفَقَتِهِ ، وَحُسْنِ مُعَامَلَتِهِ .

وَبَعْدَ أَنْ فَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ رَأَى عَدَدًا كَبِيرًا مِنْ



الْإِفْرَنْجِ يَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ وَالِدَيْهِ الضَّعِيفَيْنِ ، أَوْ  
أَقَارِبَهُ الْمَرْضَى ، فَأَثَرُ فِيهِ هَذَا الْمَنْظَرُ ، فَأَمَرَ بِالْمَالِ  
فَأُعْطِيَ لَهُمْ ، وَبِالدَّوَابِّ فَوُزِّعَتْ عَلَيْهِمْ ، لِتَحْمِلَ  
أَمْتِعَتَهُمْ وَضِعْفَاءَ هُمْ .

### صَلاَحُ الدِّينِ وَالْفَتَاةُ الْفَرَنْسِيَّةُ الْأَسِيرَةُ :

حِينَما جُمِعَتْ غَنَائِمُ الْحَرْبِ ، وَقُسِمَتْ بَيْنَ الْجُنُودِ  
وَالْأَمْراءِ ، تَنَازَلَ صَلاَحُ الدِّينِ عَنْ نَصِيبِهِ لِلْفُقَرَاءِ  
مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ ، وَجَعَلَ الْأَسْرَى الَّذِينَ كَانُوا مِنْ  
نَصِيبِهِ أحرارًا . وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الْأَسْرَى فَتَاةٌ فَرَنْسِيَّةٌ ،  
فَنَقَدَّمَتْ جِهَتَهُ ، وَقَالَتْ لَهُ : لَقَدْ قَتَلْتَ أَبِي فِي الْحَرْبِ  
أَيْهَا الْمُجْرِمُ الْقَتَّالُ ، وَأَسَرْتَ أَخَوَيْنِ لِي . وَأَخَذَتْ  
أَمْلَاكَنَا الَّتِي كُنَّا نَمْلِكُهَا ، وَلَمْ يُبْقَ لِي مَنْ يُفِيقُ عَلَيَّ ،  
وَإِنَّكَ الْيَوْمَ تَمْنُ عَلَيَّ بِجَعْلِي حُرَّةً ، لِيَزْدَادَ تَعْبِي وَعَذَابِي .



ضَبَطَ صَلاَحُ الدِّينِ نَفْسَهُ ، وَلَمْ يَتَأَثَّرْ مِنْ شَتَائِمِهَا  
 الْمُرَّةِ ، بَلْ عَفَا عَنْهَا ، وَابْتَسَمَ فِي وَجْهِهَا ، وَسَأَلَهَا :  
 مَا اسْمُ أَخَوَيْكَ ؟ فَذَكَرَتْ لَهُ اسْمَيْهِمَا ، فَأَرْسَلَ جُنْدِيًّا  
 لِيُحْضِرَهُمَا ، فَحَضَرَا ، وَحَضَرَ مَعَهُمَا الْقَائِدُ الَّذِي  
 كَانَ الْأَخْوَانُ مِنْ نَصِيدِهِ ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ صَلاَحُ الدِّينِ  
 أَنْ يَبِيعَهُ هَذَيْنِ الْأَسِيرَيْنِ . فَأَمْتَنَعَ الْقَائِدُ عَنْ أَخْذِ  
 الثَّمَنِ عِنْدَ مَا عَرَفَ غَرَضَ سَيِّدِهِ . وَتَرَكَهُمَا حُرَيْنِ ،  
 وَلَكِنَّ صَلاَحَ الدِّينِ صَمَّمَ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ لِلْقَائِدِ ثَمَنَهُمَا  
 مُضَاعَفًا . ثُمَّ رَدَّ لَهُمَا أَمْلاكَهُمَا ، ثُمَّ سَأَلَ الْفَتَاةَ :  
 هَلْ مَازَلْتَ عِنْدَ رَأْيِكَ مِنْ أَنَّي مُجْرِمٌ قَتَلْتُ ؟  
 فَأَجَابَتْ الْفَتَاةُ : عَفَوَا يَا سَيِّدِي . فَإِنَّمَا هِيَ شِدَّةُ  
 الْحُزَنِ عَلَى أَبِي الَّذِي قُتِلَ فِي الْحَرْبِ وَأُشْرِمَ مَنْ كَانَ  
 يُنْفِقُ عَلَى ، وَضِيَاعَ مَالِي ، وَمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ فِي  
 بِلَادِي خَطَأً عَنْ ظُلْمِ الْمُسْلِمِينَ ، كُلُّ هَذَا جَعَلَنِي



أَقُولُ أَشْيَاءَ لَا أَفْهَمُهَا . وَأَرْجُو مِنْكَ الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ  
يَا سَيِّدِي .

وَحِينَمَا أَرَادَتْ الْإِنْصِرَافَ سَأَلَهَا صَاحِبُ الدِّينِ :  
إِلَى أَيْنَ أَنْتِ ذَاهِبَةٌ ؟ فَأَجَابَتْ إِلَى بِلَادِي .

فَسَأَلَهَا : وَمَاذَا سَتَقُولِينَ لِقَوْمِكَ ؟  
أَجَابَتْ : سَأَقُولُ لِلْمُتَعَصِّبِينَ مِنْهُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ  
عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ تَرَكْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ  
هِيَ وَأَخَوَاهَا . بَعْدَ أَنْ أَسْلَمُوا .

فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى قَوْمِهَا أَخَذَتْ تَدْعُو النَّاسَ  
إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَتَذَكِّرُ لَهُمْ مَحَاسِنَهُ ، وَتَحْكِي  
مَا رَأَتْهُ بِنَفْسِهَا مِنْ حُسْنِ مُعَامَلَةِ الْمُسْلِمِينَ لَهَا .  
وَعَدْلِ صَاحِبِ الدِّينِ ، وَشَفَقَتِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَنُبُلِهِ  
وَإِنْسَانِيَّتِهِ .

فَلَمَّا تَعَجَّبَهُمْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ فَتَاةٍ



مِنْهُمْ ، وَاتَّفَقُوا فِيْمَا بَيْنَهُمْ سِرًّا عَلَى قَتْلِهَا .  
وَقَتَلُوهَا ظُلْمًا ؛ لِأَنَّهَا تَقُولُ الصِّدْقَ ، وَتَدْعُو إِلَى  
الْحَقِّ ، وَتُنَادِي بِالْإِسْلَامِ . فَمَاتَتْ شَهِيدَةً مُجَاهِدَةً  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

### صَلاَحُ الدِّينِ وَالرَّجُلِ الْمَسِيحِيِّ الْكَبِيرِ السَّنِّ :

كَانَ صَلاَحُ الدِّينِ مَاثِيًّا فِي طُرُقَاتِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ،  
فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَسِيحِيٌّ كَبِيرُ السَّنِّ ، يُعَلِّقُ  
صَلِيبًا ذَهَبِيًّا فِي رَقَبَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ :  
أَيُّهَا الْقَائِدُ الْعَظِيمُ ، لَقَدْ كُنِبَ لَكَ النَّصْرُ عَلَى  
أَعْدَائِكَ ، فَلِمَ إِذَا لَمْ تُعَذِّبْهُمْ ؟ وَلِمَ إِذَا لَمْ تُنْقِمَ  
مِنْهُمْ ، وَتَفْعَلَ مَعَهُمْ مِثْلَ مَا فَعَلُوا مَعَكُمْ ؟ وَأَنْتَ  
تَعْلَمُ حَقًّا أَنََّّهُمْ ارْتَكَبُوا كَثِيرًا مِنَ الْفِظَائِعِ ، وَنَهَبُوا  
الْأَمْوَالَ ، وَقَتَلُوا النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ وَالرِّجَالَ حِينَمَا



فَتَحُوا بَيْتَ الْمُقَدَّسِ .

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الدِّينِ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، إِنَّ دِينِي  
يَمْنَعُنِي مِنْ تَعَذِيبِ أَيِّ إِنْسَانٍ ، وَضَمِيرِي يَمْنَعُنِي  
مِنَ الْإِنْتِقَامِ . وَلَنْ أَفْعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلُوا .

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : وَهَلْ دِينُكُمْ يَمْنَعُكُمْ مِنَ  
الْإِنْتِقَامِ مِنْ قَوْمٍ بَدَءُوكُمْ بِالْعَدَاوَةِ ، وَعَذَّبُوا  
النَّاسَ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ ؟

فَأَجَابَهُ صَاحِبُ الدِّينِ : نَعَمْ إِنَّ دِينَنَا يَمْنَعُنَا  
أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَ أَعْدَائِنَا فِي عِنَادِهِمْ ، وَيَأْمُرُنَا أَنْ  
نَفِيَّ بِوُجُودِنَا ، وَأَنْ نَغْفُو عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا ، وَنَضْفَحَ  
عِنْدَ الْمُقَدَّرَةِ عَمَّنْ أَذْنَبَ .

فَقَالَ الشَّيْخُ : نَعَمْ الدِّينُ دِينُكُمْ . وَإِنِّي أَحْمَدُ  
اللَّهَ عَلَى أَنْ هَدَانِي فِي أَيَّامِي الْأَخِيرَةِ مِنْ هَذِهِ  
الْحَيَاةِ . ثُمَّ سَأَلَ : وَمَاذَا يَفْعَلُ مَنْ يُرِيدُ الدُّخُولَ



فِي دِينِكُمْ ؟

فَأَجَابَهُ صَلَاحُ الدِّينِ : يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ ،  
وَمُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَسُولُهُ ،  
وَيَفْعَلُ مَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ ، وَيَتَّبِعُ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .  
وَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْلَمَ الرَّجُلُ ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ،  
وَأَسْلَمَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنْ أَبْنَاءِ قَوْمِهِ .

صَلَاحُ الدِّينِ وَالسَّيِّدَةُ الْمَسِيحِيَّةُ الْحَزِينَةُ :

ذَاتَ يَوْمٍ كَانَ جَالِسًا فِي خَيْمَتِهِ ، يَحْكُمُ بَيْنَ  
النَّاسِ بِالْعَدْلِ . فَوَقَفَتْ أَمَامَ الْخَيْمَةِ سَيِّدَةُ  
مَسِيحِيَّةٌ ، تَصْيحُ وَالْحُزْنَ يَخُوقُ صَوْتُهَا ، حَتَّى  
ارْتَمَتْ عَلَى الْأَرْضِ ، فَأَبْعَدَهَا الْحُرَّاسُ عَنِ الْخَيْمَةِ ،  
وَلَكِنَّ صَلَاحَ الدِّينِ حِينَ سَمِعَ صَوْتُهَا أَمَرَ بِإِدْخَالِهَا  
فِي الْحَالِ . فَأَدْخَلَتْ وَسَأَلَهَا :



لِمَاذَا تَبَكَّيْنَ أَيْتُهَا السَّيِّدَةُ ؟  
فَأَجَابَتْ : لَقَدْ اخْتُطِفَ اللُّصُوصُ ابْنِي الصَّغِيرَ ،  
وَأُسِرَ زَوْجِي فِي الْحَرْبِ ، وَهُوَ الَّذِي يُنْفِقُ عَلَيَّ .  
فَتَأَلَّمَ صَلَاحُ الدِّينِ ، وَحَزِنَ كَثِيرًا لِحَالِهَا ،  
وَأَمَرَ فِي الْحَالِ بِإِخْرَاجِ زَوْجِهَا مِنْ بَيْنِ الْأَسْرَى .  
ثُمَّ طَلَبَ مِنْ جُنُودِهِ الْبَحْثَ عَنْ ابْنِهَا الْمَخْطُوفِ .  
فَأَحْضَرُوهُ لِأُمِّهِ ، فَفَرِحَتِ السَّيِّدَةُ كَثِيرًا ،  
وَأَخَذَتْ تَدْعُو لِصَلَاحِ الدِّينِ أَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ  
فِي عُمُرِهِ .

فَقَالَ صَلَاحُ الدِّينِ : إِنَّمَا لَمْ نَفْعَلْ إِلَّا مَا أَمَرَنَا بِهِ  
دِينُنَا الْكَرِيمُ .

فَسَأَلَتْهُ السَّيِّدَةُ : هَلْ يَأْمُرُ دِينُكُمْ يَا سَيِّدِي  
بِالرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَمُسَاعَدَةِ الضُّعَفَاءِ ؟  
فَأَجَابَ صَلَاحُ الدِّينِ : نَعَمْ يَا سَيِّدَتِي ، فَإِلْسِلَامُ



دِينُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ رَحْمَةٌ لِلنَّاسِ  
جَمِيعًا ، وَسَلَامٌ لِكُلِّ الشُّعُوبِ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ : لَقَدْ أَحْبَبْتُ هَذَا الدِّينَ  
الكَرِيمَ مِنْ أَخْلَاقِكُمُ النَّبِيلَةِ ، فَكَيْفَ أَكُونُ  
مُسْلِمَةً ؟

قَالَ صَاحِبُ الدِّينِ : طَرِيقَةُ الْإِسْلَامِ سَهْلَةٌ .  
تَشْهَدِينَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .  
فَنَطَقْتَ الْمَرْأَةُ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَأَسْلَمَتْ ، وَأَسْلَمَ  
مَعَهَا زَوْجُهَا الَّذِي كَانَ أَسِيرًا ، بِفَضْلِ رَحْمَةِ  
هَذَا الْبَطْلِ الْعَظِيمِ .